وكانوا يُسَمَّـوْنَ في لغة البـلاد «حلّة حوارة»، وهمـا كلمتان آراميّتـان تعنيان «الملابس البيضاء».

وقـد اختار هؤلاء الـرجال جـوار الماء وهم يتـوقّعون منـه الطُّهْـر والسـلام، ويبتهلون إلى «يوحنّا المعمدان» و«آدم» وإلى «يسوع النـاصريّ» و«تـوما» الـذي يقولون إنـه توأمـه، وأكثر من أولاء جميعـاً إلى نبيّ مجهول اسمـه «إليسع» وعنـه كتابهم المقدّس وتعـاليمهم: «أيها النـاس احذروا النـار فإنها ليست سـوى خيبة وخِـداع، ترونها قـريبة في حـين أنها بعيدة، وبعيـدة في حين أنها قـريبة، النـار سحر وكيمياء، إنها دم وعذاب. لا تجتمعوا حول المذابح التي ترتفع منها نـيران الأضاحي، وابتعدوا عن أولئـك الذين يـذبحون المخلوقـات وهم يظنّـون أنهم يُرضون الخالق، ولا تقربـوا مَنْ يقرّبـون القرابـين ويقتلون. تجنّبوا مـظهر النـار واتبعوا بالحري طريق الماء فكلّ ما يمسّه يستعيد نقاءه الأول، ومن الماء تُولَدُ كل حيـاة. وإذا عضّت أحدكم بهيمـة مؤذية فليهـرع إلى أقرب مجـرى ماء فيغمس نفسـه فيه وهـو يُسَبِّح اسم «الـربّ الأعـلى» بـإخـلاص؛ وإذا مـرض أحـدكم فليغمس نفسه سبع مرّات في النهر فتتبدّد الحمّى في برودة الماء».

في اليوم التالي لوصوله إلى بستان النخيل اقتيد «پـاتيغ» في مـوكب إلى خيمة المعمـودية. وقـد صحبته الجـماعة بـأسرهـا، فكـان هنـاك قلّة قليلة من الأولاد وبعض الـرؤوس الشائبـة، بيد أن معـظم الموجـودين بَدَوْا في سنّ تـراوح بـين العشرين والثلاثين. وكان كل واحد منهم قد اقترب من القادم الجديد للتفـرّس في وجهه وترتيل مقطع من دُعاء له.

وبـإشارة من «سيتـابي» خاض «پـاتيغ» عنـدئذٍ مـاء الترعـة بجميع مـلابسه وغاص فيه حتى غمر جبينه، ثم اعتدل وأخذ يخلع ثيابه قـطعة قـطعة عـلى أنها زينة تعود إلى زمن الكفر وقد تخلّص منهـا مشمئزّاً بـانتظار أن يحملهـا تيّار وادع إلى غير رجعة. وبينما كان نشيـدٌ يتعالى سعى الشـاب، وقد وجـد نفسه نحيـلاً وعارياً بين هذا القَدْر من العيون المحدِّقة، إلى سَـتْر جسده بيـديْه المـرتعشتيْن.